وتقاطعاً بين مصالح الطرفين، في هذا الشأن. اذ بقدر ما يسعى الفلسطينيون الى تأمين الدعم السوفياتي لموقفهم، لاسباب معروفة، يقدّر السوفيات، من جهتهم، تمسك الفلسطينيين بهم وتحمسهم لهم، مما يشكل عنصراً آخر يساعد في استمرار احتفاظهم بنفوذهم في المنطقة. غير ان ليس من المفترض ان يكون النجاح وحده من نصيب مثل هذا المخطط. فأحياناً كثيرة لا يتطابق حساب الحقل مع حساب البيدر. وهنالك عوامل كثيرة تفعل فعلها، في هذا الصدد، ويستحسن الاشارة اليها.

وعادة، اذا شئت قول ما قد لا يعجب المستيسرين عن الاتحاد السوفياتي، انقضوا عليك لمنعك من الاستمرار في تلك «الهرطقة»، او لمنعك من الكلام اطلاقاً. وقبل ان يقوموا بذلك هذه المرة، أيضاً، ويحاولوا منعنا من الكلام، سوف نحاول قول ما لدينا. وما ينبغي قوله في هذا الصدد، والتذكير به بقوة، وجاهة ودون تلميح، هو ان هنالك ما يكفي من الاحداث والدلائل والقرائن، التي وقعت، او ظهرت، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم، تشير كلها بوضوح الى ان هنالك، ضمناً او صراحة، علناً او سراً، نوعاً من مناطق النفوذ، في مختلف انحاء العالم، مقسّمة بين المعسكرين الكبيرين، الشرق والغرب. ومنطقة الشرق الاوسط عامة، والعالم العربي خاصة، «مخصصة»، بوضوح، للنفوذ الغربي، وعلى رأسه الولايات المتحدة، المتحالفة، منذ فترة غير قصيرة، مع اسرائيل، والمعادية، بشدة، للفلسطينيين ولأمانيهم. والدور السوفياتي في هذه المنطقة، على وجه العموم، ثانوي وغير حاسم، ولن يُسمح له، غربياً، بأن يحسم الا في حال اختلال القوى بين المعسكرين الكبيرين، وهذا غير وارد في المستقبل المنظور، او اذا حسمت الاطراف نفسها، او ساهمت في الحسم. ونكتفي بالاشارة، مثلاً، الى ان الاتحاد السوفياتي لم يحرّك ساكناً خلال الحرب التي شنتها اسرائيل على «حلفائه» الفلسطينيين في لبنان سنة ١٩٨٢، واستمرت اسابيع عديدة؛ بينما لعبت الولايات المتحدة دوراً فاعلاً للغاية. بل نذكّر بحادثة أخرى وقعت خلال المراحل الاخيرة من حرب تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣، حيث اعلن الاتحاد السوفياتي انه سوف يُرسل قوات للفصل بين المتحاربين، فما كان من الولايات المتحدة الا ان اعلنت الاستنفار في قواتها الجوية الاستراتيجية، المزودة بالاسلحة الذرية، في انحاء العالم كافة. وعلى الاثر، تراجع السوفيات ووافقوا على مشروع اتفاق لأنهاء القتال، قبلت به اسرائيل. وفي المقابل، همهم الغرب كثيراً وزمجر خلال احداث هنغاريا ١٩٥٦ وتشيكوسلوفاكيا ١٩٦٨ وبولونيا ١٩٨٤، ولكنه لم يحرك ساكناً؛ فهذه البلدان «مخصصة» لنفوذ المعسكر الشرقي.

لقد كان الاتحاد السوفياتي من اوائل الداعين الى عقد مؤتمر دولي لحل ازمة الشرق الاوسط، ان لم يكن أول من دعا اليه. كما انه لا يمكن للسوفيات الا ان يحضروا مثل هذا المؤتمر، ان عُقد؛ ولو من قبيل ما يمكن تسميته سمعة، او وجاهة، دولية. فهناك، مثلاً، وجيه في قرية؛ وهنالك وجيه مقاومة؛ وهنالك، كذلك، وجيه دولي. ولكن حتى لهذه الوجاهة الدولية ثمنها. فالاتحاد السوفياتي، لكي يحضر المؤتمر الدولي، بحاجة الى تأشيرة اسرائيلية، ينبغي ان تكون، ايضاً، مدفوعة الرسوم. واسرائيل تعلن صراحة، وعلى الملأ، انها لن تحضر اي مؤتمر دولي مع السوفيات، الا اذا وافقوا على اعادة العلاقات الدبلوماسية معها وكذلك، وهذا هو الاخطر، سمحوا باستئناف هجرة اليهود السوفيات اليها. ويمكن الافتراض ان اسرائيل جدية للغاية في شروطها هذه، اذ انها، اساساً، وعلى ارضية الدعم الاميركي القوي لها، غير مضطرة الى حضور مثل ذلك المؤتمر بتاتاً. واستطراداً، يمكن الافتراض، أيضاً، انه عند ارتفاع حرارة الاعداد لعقد ذلك المؤتمر الميمون لن يتردد الفلسطينيون في الايعاز لحلفائهم السوفيات، ولو همساً، او سكوتاً، بالاستجابة لبعض الطلبات الاسرائيلية، لكي يسهّل ذلك عقد المؤتمر «المهم». وتكون النتيجة ان تحصل اسرائيل على ما تبغيه لقاء تكرُّمها بالموافقة على حضور المؤتمر، الذي قد لا يسفر عن نتيجة تذكر. وعلى سبيل التذكير، ايضاً، نشير الى ان الاتحاد السوفياتي كان